



فالحب والاطمئنان بغير ان قلبينا وحياتنا . وأنت
ياسيدار : أنت فينوس هرروزا ؛ أنت ترائي
وأنت ملكتي ... »

وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا
وهو في مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس
دائماً ؛ أحس أن يدأ قوية تجذبه في عذف ، وسمع صوتاً
خشناً يناديه : « أسرع : لقد كنت في (تيرا نوفا)
وعمك هناك بعالج مرضاً خطراً ... » هذا صوت
سائق ينهيه إلى أسر ، ولكنه ما كان ليلسبه بمض
هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافئة ، ثم قال يحدث
نفسه : « سأشر هذا الخبر المحزن على عيني زوجتي »
لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم
تفرع من مكانها وهي جالسة أمام باب الدار تلمس
الدفء من أشعة الشمس ، وقد ارتدت خير
ملابسها ، وانتعشت ، ورتبت شعرها في دقة وأناقة ؛
غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبت بها يد البلى ،
ووجهها وقد شحبت وتغضن وذوى جماله ، وعينها
وها تضطربان وقد خبا ضوءها وانطفأ بريقهما ؛ كانت
كلها ترسم سطوراً واضحة في تاريخ فاقتهما وعوزها
ومن أقصى المكان ارتفعت نبرة تشبه ما يسمعه
إيليا دائماً في المحكمة : فهؤلاء أصحاب الدار
يتنازعون فيما بينهم أمراً ؛ وهذا الندى — وهو
جزء من الدار — قد ضم جماعة يلعبون الورق
وعزحون في نبرة وصحب ؛ والزوجة لا يمتنها

ضاقت سبل الحياة بالفتي إيليا كراي فهو لا يجد
عملاً ، وهو لا يدري كيف يزجي هذا الفراغ العريض
الذي وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضي شطراً
من نهاره في حجرة الانتظار بالمحكمة ، واضعاً
كراسه على ركبته يثبت فيها ما توافيه به قريحته
من أشمار يتاجى بها زوجته الحبيبة . لقد كان
الضجيج يملو بازائه والجوع تتقاطر من هنا ومن
هناك : فقيرات النساء يتخاصمن على دربهات ضئيلة
كانما يتنازعن أقطار الأرض جريماً ؛ وقائلو الزور
يسرون في هدوء وأناة يبتغون شيئاً ؛ وصغار الحمامين
يبتغون هذا وهذا بفتشون عن صيد جديد ؛ هذا
وإيليا جالس في هدوئه ، في زاوية الحجرة ، يكتب
إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس مما حوله شيئاً :
« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعيني عقلي ،
فكل ما يدور في العالم مقدر قبل أن يكون . أما
شاعر وفيلسوف ، فليس شيء في الحياة يثير في
الدهشة لأنني أعلم أن الأيام تملو بالمرء مرة وتسفل
به أخرى . لا تقنطلي — يا عزيزتي — فلربما تذكرينا
عمى أغسطينو ... أغسطينو الذي طرد زوجته
وحرمها ماله ؛ لعله يذكركنا يوماً فنذهب إلى شاطئ
البحر معاً ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج
الهائجة ، ونحن نسير ذراعاً في ذراع كأننا عروسان
في شهر العسل . على أننا — الآن — سعيديان ،

ملحوظة : كتبت هذه القصة بقلم الكاتبة الإيطالية
جرازيا ديليدا ، وقد أخطأ الخطاط جعلها الكاتب

فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية في رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسبات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو في طريقه تراءت له الزهور الرقانة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشدي في روحه النشاط ، وتذكى في أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحدرت الشمس الى مغربها ، فاستحالت حرارتها النعشة الى برد قارس تحمله نسبات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخائنه رزائته الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصالح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهانة واحتقار حين يبدو في دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه في مثل حذاءه . لا بد أن يجد حذاء ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدرى ... وبعد فترة كان يسير في شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفي ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبياً قوياً جذب إيليا اليه جذب إيليا ليلته في حجرة قذرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيظ أحدهما يستأجر إيليا من أفكاره ومن نومه معاً . استلقى الرجل على فراشه وما في رأسه غير صورة نعل جديد تتراءى له أينما هفا خياله ؛ في الشارع ، في الحقل ، في زاوية الحجرة ، في صندوق في الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحياناً الى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة ... وظل إيليا تفرعه الريح العاصفة ، والنظيظ المدوئى في أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر . وتعاق

ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج العاشق فقد وقف بلازاء زوجته يداعب شعرها في رفق وتحبب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... » قالت الزوجة : « إلى أين ؟ » قال : « إلى أين ؟ لعلك لم تمي شيئاً مما قلت ؛ إلى عمى أغسطينو طبعاً ؛ ما أجل ما أرى في هذا اليوم ... ! » قالها وقد كتم في نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكيننة فراحت تحديق في حذاءه الممزق مرقاً أعيت على الاسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بالمسال تستمين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن ممي ما يكفيني ، لا يشغلك هذا . إن كل ما في الكون يلد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدعة . إن ما بهم المرء حقاً هو أن يحب الناس ويحسن معاملاتهم . لقد شغلني هذا كل ساعات الصباح ... أفتريدين أن أقرأى ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرها وهو يهيم ... ثم انطلق وما خالف من شيء سوى هذه القصاصة ...

انطاني ماشياً لأنه لا يملك سوى ثلاث ايرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحى إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، يقترض ، فيضيع وقته فيما لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعود منذ زمان ؛ وما كان اشيء ما أن ينزع عنه رزائته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سسيار . لقد سار في نشاط وخوابره معاقه بحذاءه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ..

بلغ إيليا (أوروسى) — وهى قرية في طريقه — ولم يحدث ما يعكر صفوه ؛ فالطريق ممهد لاجب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، في ناحية من الأرض سحرية ،

بصره بنجم يتألق في السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس اليها ينشر على عينيها بعض أشعاره الرقيقة الطالية ، وعند الحياة الناعمة التي يحياها الى جانبها لو ظفر عما يملك عمه ...

وانتفض الرجل من فراشه بعد لأي وهو يضطرب ، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يلبسه فوجده ثقيلاً واسمافتركة الى حذاء الرجل الآخر ؛ غير أنه لم يجد شيئاً ، وطن في مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف في مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبدأ له خسته حزن ... حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحقق ؛ وحين انحنى الصوت دافع هو إلى الخارج ليرى ... ليرى الردهة خالية الا من يصيص من نور ، وإلا من قطعة تحك جسمها في الجدار ، والا من حذاء بازاء القطة ، بدا في عيني الرجل جيلاً ... فانطلق إليه يخبئه في ثنانيا معطفه ، ثم اندفع الى الشارع في هدأة الليل وسكونه . لقد غادر الفندق لم يشمر به أحد ، ثم أسرع ... وتراءى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويداً رويداً لتفتخر في هذه الالفة ، فقال : « يا هجيا : أكل شيء في الطبيعة والأنسان يريد أن يهد ... ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يحب في الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن ومضت نصف ساعة جالس بعدها ليلابس الحذاء السروق . لقد بدا عليه السرور والفرح — بادي الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه : « ماذا يكون لو أنهم تبعوني ؟ سيقفلوني لاشك . ماذا تقول زوجتي إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أفتسرق حذاء ؟ أي فرق بينك وبين من

يسرق مايون ليرة ، أيها السارق ؟ واضطربت الفكرة في رأسه : « مايون ليرة : أين هي ؟ أين أجدها ؟ لو وجدتها لاختطفتمها لأنى ولا أنباطاً ... » ثم تغطى وهو يبتسم لهذه الحاطرة ، ومد رجله وحرك أصابعه في الحذاء الجديد . يا عجيباً ! لقد رأت على نفسه سحابة سوداء من السكابة مرة أخرى ، وشعر بقدميه تتقدان ، وبأصابعه تختلج كأنها تنفر من هذا الحذاء السروق : لقد سار في طريقه متكسلاً ، ومتأبطاً حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعت الأفكار السود ؛ فهو يلتفت الى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه ... وانثنى الفجر كأنه شيطان مارد يحذجه بعينين فيهما البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قنعتة سحابة دكناء من الضباب ليبعث في نفسه الفزع والرعب ، وينذره بالفضيحة والويل ؛ وهؤلاء الناس — عما قريب — ينسلون الى القرية ، مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء السروق يقول قائلهم : « نعم ، لقد رأينا رجلاً هناك يسير مضطرباً ، وقد تأبط حزمة يخبئها تحت معطفه ... » .

ورأى — وهو يسير — فلاحاً يسير الهوى ، في طريقه الى القرية ، فخيّل اليه أنه يحدث فيه ، يلتفت اليه بين الحين والحين وعلى شففيه ابتسامة السخرية والتهكم

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهاري حزين كالخ ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهي تنعق نعيهما الشثوم ؛ وقد انطوى الجمال الذي أحسه بالأمس في هذه الناحية ؛ وبدأ له الحياة عابسة تبعث في النفس الألم والضيق ، ودوت في في أذنيه أصوات تفرعه من مكانه لأنه رأى فيها

يوماً كاملاً لا يطعم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخي ومشى الهوينى بترشح كأنه عود ذائب تمصّف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه في حلم ، وعلى شفّيته كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد المسكان هادئاً كأن شيئاً ذابال لم يكن ، ومرفأ تعلق به بعصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وحين هم من مرقده اشترى رغيفاً بما بقي معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ناظري إيليا — مرة أخرى — جميلاً ، والوادي كأنه يبسم في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبث منة القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيره بفور نشاط. أوحياة على رغم هذا الحذاء الممزق الذي تموج فيه قدماء ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتباع بهما

وباع دار عمه وقد أجهد المسير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيسدفعه الى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر اليه في دهشة وهي تمجّب : « أنت ابن أخيه حقاً ؟ لماذا لم تسرع الى هنا ؟ » ولكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هي تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وأنتظر ... أنتظر طويلاً وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيتَه ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا الى داره يحمل الى زوجته الحبيبة الى نفسه خيبة الرجاء وضيعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

كامل محمود حبيب

أصوات الذين من خلفه يقصسون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم الممزق بالحذاء الذي مرّقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق ...

لقد ألقى بعض همّة حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما زال في اضطرابه ، وخياله ما يفتأ بصوره أشياء : فهذان العاملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بمد أن وجدا الحذاء الملقى ... سيُلبّسَ به ثم يدفعان به إلى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؟ وتراعى له جماعة يمدّبونه ويمدّبونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترامى إليها الخبز ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤثرها الاجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعه الخواطر المظلمة كما تتناوح الرياح الشديدة الماصفة - حجاب في كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه التناهة ، بضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة في وقت ممّا ؛ ثم هو لا بطاب إلا مراباً أو أملاً كالسرّاب ، ومن يدري ؟ لعله لا يستطيع أن يأتي بالحجة القاطمة تثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... ورغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يقبل .

نكص الرجل على عقبيه ممتلخ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء الملقى في ذهول وبلاهة ، أقبواريه التراب ؟ إنه إن فعل فما غير من الحقيقة التي في رأسه ؛ أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غير